شعر المولدين شاهدًا لغويًّا

(دراسة تطبيقية فى مختارات من كتب التراث اللغوية والنحوية)

الدكتور / يحيى فرغل عبد المحسن(*)

انتهج اللغويون والنحاة منهجًا وصفيًّا بنوا عليه وضع مصنفاتهم التى قعّدت وقنّنت أساليب اللغة وأنماطها؛ حيث تدبروا لغة القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربى وما أُثر عن العرب، فاستبطنوا أسرارها ثم استنبطوا القواعد اللغوية التى تنتظم التراكيب اللغوية .

ومن هنا نشأت حاجة هؤلاء العلماء الأجلاء للاستشهاد بنظام تلك اللغة التى اعتمدوا عليها فصارت مقياسًا لصحة التقعيد النحوى واللغوى الذى صار بدوره مقياسًا لصحة اللغة بعد عصور الاحتجاج.

ولم يعد تجديدًا فى مجال البحث العلمى أن نتكلم عن الاستشهاد باللغة أو الاحتجاج وعصوره ومن يُحتج بلغتهم؛ فتلك مسألة قَنَّن لها سلفنا علماء التراث وتناولها من جاء بعدهم حتى خلفهم من علمائنا المعاصرين.

فمن كتب التراث التى طرحت لهذه المسألة (الخصائص) لابن جنى، و(طبقات فحول) الشعراء للجمحى، و(المزهر) للسيوطى، و(الخزانة) للبغدادى، ومن الدراسات الحديثة: (الاستشهاد والاحتجاج باللغة) لأستاذنا الدكتور محمد عيد، و(عصور الاحتجاج فى النحو العربى) لأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم عبادة، و(الاحتجاج بالشعر فى اللغة – الواقع ودلالته) لأستاذنا الدكتور محمد حسن جبل .

(*) مدرس علم اللغة بكلية البنات – جامعة عين شمس.

«إن أهـم ما يمكن تحديده من تناول النحاة للشعراء قبولاً ورفضًا ثلاثة أسس:

١ - الأعصار لا الأشعار.

٢ - البداوة لا التحضر.

٣ - الطبع لا الصفة.

ويمكـن القـول بـأن الاعتماد على لغة الشعراء توقف عند نهاية العصر الأموى وبداية العصر العباسى، أما الأساس الثانى فقد نظر النحاة بعـين الشك إلى الشعراء الذين عاشوا فى الحضر واختلطوا بالناس، وأما الـثالث فإنهم رأوا الشاعر الأصيل ذا الفطرة السليمة هو الذى تجىء لغته فـى شـعره سليقة وطبعا، أما ذلك الذى يجوّد شعره ويصنعه، فإن دافعه لذلك من جهة نظرهم هو ضعف سليقته وبعده عن الفطرة السليمة» .[1]

ولـيس مـن هـدف هذا البحث - إذن - أن يكرر أو يقرر مسألة الاحـتجاج التى رسخت، إنما أهدِف - هنا - إلى دراسة الظاهرة دراسة تطبيقـية فـى أثناء بعض الدراسات النحوية واللغوية، وقد تنبهت إلى هذه الفكـرة مـن خـلال قراءتى لكتاب (عصور الاحتجاج فى النحو العربى) لأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم عبادة .

إن واقـع الدراسـات الـنحوية واللغوية يقفنا على كثير من شعر المولدين حيث نجد ذلك - على سبيل التمثيل لا الحصر - فى مؤلفات ابن هشـام الأنصـارى المصـرى (ت ٧٦١هـ)، وكتب الأمالى، والمزهر للسـيوطى (ت ٩١١هـ)، وكذلك الأشباه والنظائر، وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى (ت ٩٠٥هـ) .

فضـلاً عن المعاجم وكتب البلاغة؛ أما المعاجم فسأكتفى بأمثلة من

---

(١) الاستشهاد والاحتجاج باللغة، د. محمد عيد، عالم الكتب، ص ٣٠، ٣١، بتصرف.

(تـــاج العـــروس)، وأما كتب البلاغة – على غناها بشعر المولدين – فلن أتعـــرض لها فى هذا البحث لأن علماء البلاغة يأنسون بالشعر حيث كان الجمـــال والـــبديع؛ ومـــن هنا كان أبو تمام وابن المعتز إمامين فى البديع عندهم وهما محدثان.

أما منهجى فى هذا البحث فيقوم على ما يأتى:

١ – جمعـــت كثيـــرًا من أشعار أشهر المولدين أمثال أبى تمام (ت ٢٣١ هـــ)، وأبـــى العتاهية (ت ٢١١هـــ)، وأبى نواس (ت ١٩٨هـــ)، وابن المعتز (ت ٢٩٦هـــ)، وابن الرومى (ت ٢٨٣هـــ)، والبحترى (ت ٢٨٤هـــ)، والمتنبـــى (ت ٣٥٤هـــ) من كتب التراث اللغوية والنحوية .

٢ – صـــنفت هذه الأبيات إلى: استشهاد وتمثيل ونقد وتفسير وتحليل، ثم اكتفيت بنماذج من كل نوع.

٣ – عقـــبت علـــى هـــذه المجـــالات التى اشتملت على الاستشهاد بشعر المـــولدين، ثـــم ختمت كل مبحث بخاتمة تكشف عن رأيى مؤيدًا أو معارضًا .

٤ – ترجمت للشعراء المولدين ووثقت الأبيات من الدواوين المحققة.

٥ – ختمت البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التى توصلت إليها.

وبعد هذه المقدمة للبحث أقف على مسائله التى اشتملت على:

أولاً : ما يجوز فيه الاستشهاد بشعر المولدين .

ثانيًا : الاستشهاد بشعر المولدين فى كتب التراث .

ثالثًا : التمثل بشعر المولدين فى كتب التراث .

رابعًا : نقد شعر المولدين فى كتب التراث .

خامسًا : الخاتمة والنتائج .

أولاً : ما يجوز فيه الاستشهاد بشعر المولدين :

فصـــل علمـــاء التراث بين المعانى والألفاظ فى أثناء حديثهم عن مسألة الاستشهاد؛ يقول ابن جنى (يُستشهد بشعر المولدين فى المعانى كما يُستشهد بشعر العرب فى الألفاظ)[1] .

فالمعنى الذى يجوز الاستشهاد فيه بشعر المولدين يتضمّن أغراض الشـــعر والتجديد فيها، ويتضمن كذلك الحكمة، والتشبيه، والاستعارة؛ كما يتضمن الدلالة المعجمية، ونسوق فيما يأتى نماذج من هذه الأنواع:

١ - استحسن الأخفش لأبى نواس[2] فى صفة الدمع[3] :

ما بالُ قلبِكِ لا يَـقَرُّ خُفُوقـا ... وأراكِ تَرعى النَّجم والعَيُّوقا

وجُفون عينكِ قد نَثَرنَ من البكا ... فوقَ المَدامع لؤلؤًا وعَقيقا

لو لم يكن إنسانُ عينكِ سابحًا ... فى بحرِ دَمْعتِه لماتَ غريقا[4]

فابتدع أبو الحسن بن هانئ حيث جعل حَبَّات الدمع لؤلؤًا وعقيقا، ثم جعل حركة إنسان العين سرَّ حياته فى بحر دمعته .

---

(١) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى، تحقيق: محمد جاد المولى وآخرين، دار التراث ، ط/٣ ، ١/٥٨ ، ٥٩ .

(٢) الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمىّ بالولاء، أبو نواس شاعر العراق فى عصره، كان للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين ولو أدرك الجاهلية ما فُضّل عليه أحد، توفى ببغداد سنة ١٩٨هـ، انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٩٥-١٠٤، والأعلام للزركلى، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م، ٢/٢٢٥ .

(٣) أمالى الزجاجى، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ص ٩٩ .

(٤) نسبةُ الأبيات لأبى نواس نسبةٌ خاطئة، وهى لابن المعتز، ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م ، ص ٣٣٣ .

٢ - واستحسنوا من بشار بن برد[١] أن يستعتب الطلل؛ يقول البغدادى فى الخزانة «قال بعض علماء الشعر: أحسن الناس ابتداعًا من المولدين بشار حيث يقول:

أبى طلل بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب مُتيَّما[٢]

ووجه الابتداع فى هذه المقدمة الطللية أن بشارًا خالف سلفه من الشعراء فيها؛ حيث درج شعراء الجاهلية على أن يقفوا ويستوقفوا أصحابهم ويبكوا بين يدى هذه الأطلال، ولم يشتهر عنهم أن استنطقوا الطلل .

٣ - واستحسنوا لأبى نواس تشبيهه الحب بالجواد تحكمه باحتكام عِنانه، وإلا انصرف؛ حيث يقول:

خَيِّرْ فؤادكَ أو ستُخْبِرُهُ قَسَمًا ليَنْتَهِيَنَّ أو حَلَفَا
الحبُّ ظَهْرٌ أنتَ راكِبُهُ فَإذَا صرفْتَ عِنَانَهُ انصَرَفَا»[٣]

---

(١) بشّار بن برد العُقيلى بالولاء، أبو معاذ، أشعر المولدين على الإطلاق، ونسبته إلى "عُقيلية" وهى امرأة قيل: إنها أعتقته من الرق، كان ضريرًا، اتهم بالزندقة فمات ضربًا بالسوط، ودفن بالبصرة سنة ١٦٧هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ٢٧١/١-٢٧٨، والأعلام للزركلى، ٥٢/٢ .

(٢) البيت فى ديوانه، من قصيدته التى مطلعها: يطوفُ العفاةُ بأبوابه، ص . وانظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادى، تحقيق: عبد السلام هارون، الخانجى، ٣٧١/٢ .

(٣) ديوان أبى نواس، تحقيق: على قاعود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ، والبيت من قصيدته التى مطلعها: حلَّت سعادُ وأهلُها سَرِفا، ص ٣٦٠. وانظر: الكامل للمبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٤٢/٣ .

٤ - واستحسنوا لأبى نواس - أيضًا - فى صفة السفينة:

بُنِيَتْ علَـى قَدَرٍ وَلاَءَمَ بَيْنَها طَبَقَانِ مِـن قِيرٍ ومِن أَلْوَاحِ
فكأنَّهَا والماءُ يَنْطَحُ صَـدْرَها والـخيزُرَانةُ فِى يدِ المَلاَّحِ
جَوْنٌ مِن العِقْبَان يَبْتَدر الدُّجَى يَهْوِى بِصَوْت واصْطِفاقِ جَنَاحِ[1]

حـيث شـبهها بجون العقبان الذى يهم بالإسراع قبل المساء وهو يهوى بصوته ويصفق بجناحه .

٥ - واستحسنوا فى الحكمة قول أبى العتاهية[2]:

لا تَـسْأَلَنَّ الـمَرْءَ ذَاتَ يَدَيْهِ فَلَيحْقِرَنَّكَ مَـنْ رَغِبْتَ إِلَـيهِ
الْمَرْءُ مَـا لَم تَرْزَهُ لكَ مُكْرِمٌ فَإِذَا رَزَأْتَ المَرءَ هُنْتَ عَـليهِ
وكمَا يكُون لَدَيْكَ مَنْ عاشَرتَهُ فكَذَاكَ فَارْضَ بِأَنْ تَكُونَ لَدَيْهِ[3]

وذلـك فـى الحث على حفظ ماء الوجه والحفاظ على عزة النفس وكرامتها، وألا يلحق الإنسان بغيره ضررًا حتى لا يهون عليه، وأن يكون الإنسان ليِّنًا طيِّعًا مع من يعاشرهم.

---

(١) لم أقف على هذه الأبيات فى ديوان الحسن بن هانئ، وانظر: الكامل للمبرد، ١٤٣/٣.

(٢) إسماعيل بن القاسم بن سويد العنزى، أبو إسحاق شاعر مكثر سريع الخاطر، فى شعره إبداع، يعد من مقدمى المولدين من طبقة بشار وأبى نواس كان يجيد القول فى الزهد والمديح، توفى ببغداد سنة ٢١١هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ٢١٩/١-٢٢٦، والأعلام للزركلى، ٣٢١/١.

(٣) لم أقف على هذه الأبيات فى ديوانه، وانظر: الكامل، ١٦٩/٢. وانظر أمثلة أخرى فيما استحسنوه من تشبيهات بشار وعباس بن الأحنف فى الكامل، ١٤٨/٣، وفيما استحسنوه من المدح لأبى تمام فى الكامل، ١٦٩/٢ .

٦ – واستشـــهد البغدادى فى (الخزانة) على أنهم يريدون للإنسان أن يبقى ذكره ولا يذهب بقول المتنبى[١]:

ذكر الفتى عمرُه الثانى، وحاجتُهُ ما فاته، وفضولُ العيشِ أشغالُ[٢]

٧ – ومما تدارسه ثعلب والأخفش والمبرد – فيما ذكره الزجاجى فى أماليه – قول أبى تمام[٣]:

أآلِفَةَ النَّحِيبِ كم افترَاقٍ أظَلَّ فكَانَ داعِيَةَ اجتمَاعِ[٤]

قـــال أبو الحسن الأخفش: فلما صرتُ إلى أبى العباس المبرد سألته عـــنه فقـــال: معنى هذا أنَّ المتحابين والعاشقين قد يتصارمان ويتهاجران إدلالاً، لا عَزْمًا على القطيعة، وإذا حان الرحيل وأحسَّا بالفراق تراجعا إلى الـــوُدّ وتلاقَيا، خوفَ الفراقِ وأن يطول العهدُ بالالتقاء بعده، فيكونُ الفراقُ حينئذٍ سببًا للاجتماع.

قـــال : فلما عدتُ إلى ثعلب فى المجلس الآخر سألنى عنه فأعدت علـــيه الجـــواب والأبيات، فقال: ما أشدَّ تمويهه، ما صنع شيئًا! إنما معنى

---

(١) أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفى الكندى، أبو الطيب المتنبى الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربى، صاحب الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعانى المبتكرة من شعراء الدولة العباسية قتل بالنعمانية فى الجانب الغربى من سواد بغداد سنة٣٥٤هـــ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ١/١٢٠-١٢٥، والأعلام للزركلى، ١/١١٥ .

(٢) ديوان المتنبى، تحقيق: عبد الوهاب عزام، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٥م، ص ٥٠٥. وانظر: خزانة الأدب للبغدادى ، ٥/٤٦ .

(٣) حبيب بن أوس بن الحارث الطائى، أحد أمراء البيان، تميز شعره بالقوة والجزالة، اختلف فى التفضيل بينه وبين المتنبى والبحترى، تولى بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفى بها سنة ٢٣١هـــ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ٢/١١-٢٦، والأعلام للزركلى ، ٢/١٦٥ .

(٤) ديوان أبى تمام، تحقيق: عبد الحميد يونس، وعبد الفتاح مصطفى، مكتبة محمد على صبيح، ١٩٦٤، ص ١٤٥.

البـيت أن الإنســان قد يفارق محبوبه رجاء أن يَغنم فى سفره فيعود إلى محبوبه مستغنيًا عن التصرُّف، فيطول اجتماعُه معه» .[1]

٨ – واستدل ابن جنى فى دلالة اللفظ على المبالغة بقول المتنبى:

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كُله ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر[2]

فكأن شعرَ المتنبى ينساق وينساب من ذاته فى مدح الممدوح، وكأن الشعر يستصحب شعرًا آخر.

قــال محققــو[3] شرح الشافية « وهذا المعنى مأخوذ من قول أبى تمام:

تغاير الشعرُ فيه إذ أرقتُ له حتى ظننتُ قوافيه ستَقْتَتِلُ»[4]

٩ – واستشهد أبو على الحسن بن عبد الله القيسى فى كتابه (إيضاح شواهد الإيضــاح) على أن الرمح إذا تثنى كان أصلب له وآمن من الكسر بقول الطائى:

لانــتْ مهزَّتُهُ فعزَّ وإنما يشتدُّ بأسُ الرمحِ حينَ يَلينُ[5]

---

(١) أمالى الزجاجى، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: أطاعن خيلا من فوارسها الدهر، ص ١٧٨. وانظر: شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضىّ الدين الاستراباذى، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الفكر العربى، ١/٨٧، ٨٨.

(٣) هم: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد. وانظر: المصدر السابق، ١/٨٨.

(٤) ديوان أبى تمام، ص ١٧١.

(٥) ديوان أبى تمام، والبيت من قصيدته التى مطلعها: بذَّ الجِلادُ فهو دفينُ، ص ٢٤٨. وانظر: إيضاح شواهد الإيضاح، ١/٢١٣.

١٠ - أكثــر واضعوا المعاجم من الاستشهاد بشعر المولدين، ولم يروا فى ذلك حرجاً لإجماع أهل اللغة على جواز الاستشهاد بشعر المولدين فى المعانى، والأمثلة على ذلك عديدة، تكاد تتفق بين المعاجم؛ فقد استشهد الزبيدى فى تاج العروس - مثلاً - بشعر المولدين أمثال:

أ - المتنبى فى المواد اللغوية: ضرع - بون - نوبندج - سبع - طبع - حدب - أجم - وزر - زيى .

ب - أبو تمام فى المواد اللغوية: عوذ - فيأ - ألس .

جـ- البحترى فى المواد اللغوية: نموذج - زنم - بيض .

د - أبو نواس فى (زرجن) .

هـ- بشار فى (وتد) .

و - المعرى فى (عوج) .

ز - ابن المعتز فى (ثمر) .

ح - ابن الرومى فى (ثمر) .

وهذه أمثلة من المواضع التى استشهد فيها الزبيدى بشعر المولدين:

- استشــهد الزبيدى على أن (بوّان) صقع بفارس، يقول: «وشعْب (بوّان) كشــدّاد صقع بفارس يوصف بكثرة المياه والأشجار وإياه عن المتنبى بقوله:

يقول بشعب بوّان حصانى ... أعن هذا يسار إلى الطعان

أبوكم آدمٌ سنّ المــعاصِى ... وعلّمكم مفارقة الجِنان»[1]

---

(١) ديوان المتنبى، من قصيدته التى مطلعها: مغانى الشّعب طيبًا فى المغانى، ص ٥٥٨. وانظر: تاج العروس للزبيدى، المطبعة الخيرية بالجمالية، ١٣٠٦هـ، ١٤٦/٩، (بون) باب النون فصل الباء .

- واستشـــهد أيضًا على أن (الأحيدب) جبل بالروم بشعر المتنبى؛ يقول: والأحـــيدب (مصغرا) جبل بالروم مشرف على الحدث الذى غيّر بناءه سيف الدولة، وقال أبو الطيب المتنبى:

نثرتهم يوم الأحيدب نثرة كما نُثرت فوقَ العروس الدراهم»[1]

- واستشـــهد علـــى أن الزى الهيئة والمنظر بشعر المتنبى؛ يقول: «قال الفـــراء: الزى الهيئة والمنظر ... وقال الليث: تزيا الرجل بزى حسن، ومنه قول المتنبى:

وقد يتزيًا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه»[2]

- واستشهد على أن النموذج بفتح النون والذال المعجمة والميم مضمومة مثال الشىء، لم تعرّبه العرب قديمًا ولكن عرّبه المحدثون بقول البحترى:

أوْ أبْلَقٍ يَلْقَى العيونَ إذ بدَا من كلِّ شىءٍ مُعْجِبٍ بنموذَجِ[3]

والأنموذج بضم الهمزة، لحن كذا قاله الصاغانى فى التكملة وتبعه المصنف.[4]

- وفـــى المضاف والمنسوب للثعالبى عود بنان ونای زنام ... إذ اجتمعا على الضرب والزمر أحسنا وأعجبا رقة، قال البحترى:

هل العيشُ إلا ماءُ كَرْم مصفَّقٌ برقرقه فى الكأس ماءُ غَمامِ

---

(١) ديوان المتنبى، ص ٣٧٨. وانظر: تاج العروس للزبيدى، تحقيق: على هلالى، وزارة الإرشاد الكويتية، ١٩٦٦، ٢٤٦/٢، (حدب)، باب الباء فصل الحاء.

(٢) ديوان المتنبى، من قصيدته التى مطلعها: وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه، ص ٢٤٣. وانظر: تاج العروس، المطبعة الخيرية، (زبى)، باب الباء فصل الزاى، ١٦٧/١٠.

(٣) ديوان البحترى، تحقيق: حسن كامل الصيرفى، دار المعارف، ١٩٦٤م، ص ٤٠٤٨، برواية من كل لون معجب.

(٤) تاج العروس، وزارة الإرشاد الكويتية، جـ/٦، تحقيق: حسين نصار (نمذج)، ص ٢٥٠.

وعود بنانٍ حين ساعد شدوه على نغم الألحانِ ناى زنامِ[1]

* * * * *

وهكـذا أجـاز علماؤنـا المتقدمون الاستشهاد بشعر المولدين فيما يتصل بالمعانى.

والسـؤال الـذى يطرح نفسه فى هذا السياق: كيف نستشهد بالمعنى معزولاً عن اللفظ الذى لم يجيزوا الاستشهاد به؟

إن الجواب على هذا السؤال يتطلب منا أن نبين موقف علمائنا من علاقـة اللفـظ بمعناه، فمنهم من قصر الفصاحة على اللفظ والبلاغة على المعنـى، يقـول أبـو هـلال العسكرى فى كتابه الصناعتين «والفصاحة والبلاغة مختلفتان؛ وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان، فهى مقصورة على اللفظ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنما هى إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى».[2]

ومن علمائنا من لم يفصل بين الفصاحة التى تخص اللفظ، والبلاغة التـى تخص المعنى، بل جمعهما تحت مفهوم واحد وجعلهما وسيلة لغاية واحدة، هكذا رأى عبد القاهر الجرجانى عند حديثه عن (النظم)[3] .

واقتصار علمائنا على الاستشهاد بشعر المولدين فيما يخص المعانى دون الألفـاظ يعلل بحرصهم على المحافظة على نظام التراكيب اللغوية، ذلك النظام الذى ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالكتاب المقدّس (القرآن الكريم)، لكنه فى الوقت ذاته يقيد دائرة الاحتجاج .

---

(١) ديوان البحترى، تحقيق: الصيرفى، ٢٠٠١/٣، وانظر: تاج العروس، طبعة الجمالية، (زنم) ، ٣٣٠/٨ .

(٢) الصناعتين لأبى هلال العسكرى، مطبعة صبيح، د.ت، ص ٩ .

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى، تحقيق: محمود شاكر، الخانجى، ص ٤٣ .

وارتباط اللغة العربية بالقرآن جعل التطور فى نظام تراكيبها محدودًا جدًا، فنظام الجملة المختصر والجملة الموسعة فى النحو العربى لا نكاد نلمس منهما تغيرًا من حيث نوع ركنيهما أو التقديم والتأخير فيهما، بينما تتغير دلالات الألفاظ فتضيق وتتسع، وربما تهجر ألفاظ وتستحدث أخرى.

فجانب نظام الألفاظ وضمها وحيازتها أركانًا معينة لم يكن مجالاً للاستشهاد فيه بشعر المولدين على ما رأى السلف، أما جانب المعانى المبتكرة أو المعانى المستحدثة كتلك التى كانت مجالاً للتعريب فلا بأس بالاستشهاد بشعر المولدين فيه.

بل إن ظاهر الابتداع فى المعانى التى استحسنها علماؤنا من الشعراء المولدين تعد دليلاً بارزًا على النظام النحوى للتراكيب لا يقيّد حرية الإبداع فى عصر من العصور.

ولا أرى فى نهاية هذا المبحث بأسًا بالاستشهاد بشعر المولدين فى المعانى.

ثانيًا: الاستشهاد بشعر المولدين فى كتب التراث:

معظم أشعار المولدين التى وردت فى كتب التراث جيء بها على سبيل الاستئناس لا الاستشهاد، ومع تتبعى لهذه الظاهرة وقفت على بعض المسائل التى جاء الشاهد فيها لشعراء مولدين، أبرز هذه المسائل:

١ - استشهد الأشمونى فى شرحه على ألفية ابن مالك «حيث أغنى النائب عن الفاعل عن خبر المبتدأ».[1] بقول أبى نواس:

---

(١) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط/٣ ، ١/٢٧٩ .

غيرُ مأسوف على زمن ينقضِي بالهمّ والحزن[1]

فنائب الفاعل (على زمن) أغنى عن خبر (غيرُ) لكونه مضافًا إلى وصف يكتفى بالمرفوع عن الخبر مع أن المبتدأ دال على النفى.[2]

وخرجه ابن جنّى على أن (غير) خبر للمجرور بـ(عن) وهو (زمن)، وزعم أن أصل الكلام (زمن ينقضى بالهم والحزن غير مأسوف عليه) فقدم (غير) وما بعدها وحذف الموصوف وهو (زمن) وأبقى صفتُه، فصار الكلام (غير مأسوف عليه ينقضى بالهم والحزن) وفيه من التكلف والدعاوى المخالفة للظاهر ما لا يسوغ ارتكابه.[3]

٢ - استشهد أبو على الفارسى فى باب العوامل الداخلة على الابتداء والخبر بقول أبى تمام:

من كان مَرْعَى عزمه وهمومه روْض الأمانى لم يزل مَهزولا[4]

قال أبو على الحسن القيسى: «الشاهد فيه رفع قوله: (مرعى) بالابتداء، و(روض الأمانى) خبره، والجملةُ خبر (كان)، واسم (كان) مضمر فيها، عائد إلى المبتدأ الذى هو (مَنْ)، كما تقول: زيد كان أبوه منطلقٌ، ويَحتمل أن يرتفع (مَرْعَى) بكان و(روض الأمانى) خبرُها، وتكون الجملة من اسم كان وخبرها، فى موضع خبر المبتدأ، الذى هو (مَنْ) كما تقول: زيدٌ كان أبوه منطلقا».

---

(١) لم أقف عليه فى ديوانه.

(٢) انظر: شرح الأشمونى، ٢٧٩/١، ٢٨٠ (هامش المحقق).

(٣) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٤) ديوان أبى تمام، والبيت من قصيدته التى مطلعها: يومُ الفراقِ لقد خُلِقْتَ طَويلا، ص ١٨٢. وانظر: إيضاح شواهد الإيضاح، لأبى الحسن القيس، تحقيق: محمد الدعاجى، دار الغرب الإسلامى، ص ١٠٢ .

وقـد أُخِـذَ على أبى علىٍّ فى الاستشهاد به، واعتذر لَه، فقيل: إنما استشهد به لمكان حبيب من الأدب والعلم، فأراد التنويه به والتعظيم لشأنه، وقـيل: إنّ عَضُـدَ الدولـة كان مغرمًا بشعره، مفتونًا به، فأدخله فى هذا الموضع تصنُّعًا لعضد الدولة، وإنما يليقُ بهذا المكان بيت الكتاب:

إِذَا مَا المَرْءُ كَانَ أَبُوهُ عَبْسٌ ... فَحسبُكَ ما تُرِيدُ إلى الكَلَامِ[1]

استشهد به سيبويه : على إضمار اسم (كان) فيها .

٣ - واستشـهد أبو على الحسن بن عبد الله القيسى على أن (رُبَّ) للتقليل بشعر المحدثين يقول: «ونحن نذكر أبياتًا كثيرة من أشعار المحدثين نُبيّن فى جميعها أن (رُبَّ) للتقليل، كَثُر استعمالهم لها فلم ينكرها أحد من العلماء عليهم فصارت لذلك كأنها حُجَّةٌ.

قال أبو الطيِّب المتنبى:

رُبَّما تُحسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِيـ ... ـهِ ولَكِنْ تُكَدِّرُ الإِحْسَانَا[2]

وقال:

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ القَنَاةَ بِفَارِسٍ ... وَثَنَى فَقَوَّمَهَا بِآخَرَ مِنْهُمُ[3]

وقال:

وَيَوْمٍ كَلَيْلِ العَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ ... أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ[4]

---

(١) لم أقف على قائله، وانظر: الكتاب، ٣٩٤/٢، وإيضاح شواهد الإيضاح، ١٣٥/١، ١٣٦.

(٢) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: صحب الناس قبلنا ذا الزمانا، ص ٤٧٠.

(٣) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: لِهَوى القلوب سريرة لا تعلم، ص ٢٢٠.

(٤) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: أغالبُ فيكِ الشوقَ والشوقُ أغلب، ص ٤٦٤.

وقال يَهْجُو كافُورًا:

وأَسْوَدَ أَمَّا القَلْبُ مِنْه فَضَيِّقٌ نَخِيبٌ وَأَمَّا بَطْنُهُ فَرَحِيبُ[1]

وقال:

علينا لكَ الإسْعَادُ، إنْ كَانَ نافِعًا بِشَقٍّ قُلُوبٍ، لاَ بِشَقٍّ جيُوبِ
فَرُبَّ كَئِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُــهُ وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرِ كَئِيبِ[2]

وقــد أوضح ما أراده من التقليل ها هنا فى موضع آخر، فأخرجه بغير لفظ (رُبَّ)، وهو قوله:

وفِى الأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ وَآخَرُ يَدَّعِى مَعَه اشْتِرَاكَا[3]

قــال ابن هشام »إلا أن الغالب فى (قد) والتصغير إفادتهما التقليل و(ربّ) بالعكس».[4]

ويدلنا ابن هشام على أن استعمال (ربّ) بمعنى التكثير أكثر ورودًا فى اللغة.

٤ – استشهد ابن الشجرى[5] لأولوية المضاف بالوصف بقول المتنبى:

أَقبلت تبسِمُ والجيادُ عوابسٌ يَخْبُبْنَ بالحلَقِ المضاعَفِ والقَنَا[6]

وذلــك ردًا علــى أبى علىٍّ حيث جعل الحال من المضاف إليه فى قول الشاعر:

عَوْدٌ وبُهْنَةُ حاشدون، عليهمُ حلَقُ الحديد مُضاعَفًا يتلهب[7]

---

(١) ديوان المتنبى، ص ٥٠٠ .

(٢) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: لا يحزن الله الأمير فإننى، ص ٣١٦، ٣١٧.

(٣) ديوان المتنبى، ص ٥٨٦ .

(٤) مغنى اللبيب، تحقيق: مازن المبارك وآخرين، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٨١.

(٥) خزانة الأدب ، ١٧٣/٣ .

(٦) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: الحبُّ ما منع الكلامَ الألسُنا، ص ١٤٠.

(٧) لم أقف على قائله.

فـيكون - فى رأى ابن الشجرى - (مضاعف) حال من الحلق لا مـن الحديد، فيكون الوصف واقعًا على المضاف لا المضاف إليه، وذلك أشبه وأولى.

٥ - استشهد ابن هشام بقول المتنبى:

وا حرّ قلباه ممن قلبُه شبمُ ومن بجسمى وحالى عندَهُ سَقَمُ[١]

وموضع الاستشهاد (وا حرّ قلباه) ووجهه أن المندوب متوجَّع منه.

يقـول الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد «والعجب من المؤلف الذى يذكر أن زيادة الهاء فى الوصل لا تجوز إلا فى الضرورة، ويعلم أن المـولدين ليس لهم أن يقيسوا على ضرورات العرب، ثم يجعل هنا البيت مـثالاً للضـرورة فـيما بعد، كيف استشهد بهذا البيت وهو مشتمل على ضرورتين؟» .[٢]

* * * * *

وهـذه الأمـثلة المختارة على الاستشهاد بشعر المولدين فى اللغة والـنحو تعكـس واقع ندرتها فى ظاهرة الاستشهاد، لكنها لا تعكس الواقع التاريخـى لهذه الظاهرة، حيث يمكننا رصد بعض الشواهد المحدودة عند الخلـيل (ت ١٦٠هـ)، وسيبويه (ت ١٨٠هـ)، «فنجد الخليل يحتج بشعر الفـرزدق وجريـر المولدين فى نظر أبى عمرو بن العلاء ويحتج بشعر الكمـيت والطـرماح اللذين أخرجهما أبو عمرو بن العلاء والأصمعى من حلـبة الاحتجاج مع وجودهما فى الإطار الزمنى، كما استشهد بشعر بشار الذى يعد فى نظر الجمهور أول خط خارج الإطار الزمنى ... وسيبويه لا

---

(١) ديوان المتنبى، ص ٣٢٢. وانظر: شرح قطر الندى لابن هشام الأنصارى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط/١، ١٩٩٦م، ص ٢٤٩.

(٢) المصدر السابق، والموضع نفسه.

يخالف الخليل ولذا يحتج بشعر الفرزدق وجرير والكميت والطرماح وبشار كما يحتج ببيتٍ لرجلٍ من بنى سلولٍ مولّد».(١)

وهـذه الأمـثلة السابقة التى سقتها بوصفها شواهد لغوية أو نحوية اختيـرت من شعر المولدين قد خالفت إجماع العلماء على عدم الاستشهاد وبذلك الشعر.

وقـد استشهد بعض العلماء بنماذج من شعر المولدين على الرغم من وجـود شـواهد أخـرى فـى نفس المسألة؛ من أمثلة ذلك ما سبق ذكره من استشـهاد أبى على الفارسى ببيت أبى تمام (من كان مرعى عزمه وهمومه) علـى إضمار اسم (كان) فيها، وهناك شاهد آخر على نفس المسألة فى كتاب سيبويه.(٢)

هـذا عـن منـزلة هذه الشواهد، أما ما يتصل بمرتبة الأحكام فقد تدبَّـرت الأحكـام التـى استشهدوا عليها بشعر المولدين، فوجدتها أحكامًا جوهرية نحو: دلالة (رُبَّ) على التقليل، أو إضمار اسم (كان) فيها، أو سدّ النائب عن الفاعل مسد الخبر، أو تتصل بأولوية المضاف بالوصف، على نحو ما بيناه فى هذا المبحث.

فهى إذن أحكام جوهرية فى أبواب النحو العربى، ودعانى الحَدْسُ إلـى احـتمال أن تكون الأحكام (التى كانت محلاً للاستشهاد عليها بشعر المولدين) أحكامًا ثانوية ملحقة بأبواب النحو الأساسية، ومع التدبر لم أجدها كذلك .

---

(١) عصور الاحتجاج فى النحو العربى، ص ٢١٠ .

(٢) هذا الشاهد هو:

إذَا مَا المَرْءُ كَانَ أَبُوهُ عَبْسٌ ... فَحسْبُك ما تُرِيدُ إلى الكَلَامِ

وانظر ص ٢٤ من هذا البحث .

وقد أُخذت هذه المواضع التى استشهد فيها بذلك الشعر على علمائنا الأجـلاء لمخالفتهم إجماع العلماء فى أطر الاحتجاج الزمانية التى أُرّخت بأواخر القرن الثانى الهجرى فى الحضر وأواخر القرن الرابع الهجرى فى البادية.

وأرى أن واقـع الاستشـهاد بشـعر المولدين - كما اخترنا أمثلة تطبيقية منه - أقوى انطلاقة إلى توسيع دائرة الاحتجاج بشعر من ترتضى لغته من المولدين.

ثالـثًا: مـا جاء من شعر المولدين فى كتب التراث على سبيل الاستئناس والتمثيل:

أشـرت - فيما سبق - إلى أن معظم شعر المولدين الذى ورد فى كـتب التـراث جاء على سبيل التمثل به لا الاستشهاد، والذى يحدد ورود البـيت للتمثل به والاستئناس أن يُسبق بشواهد أخرى من القرآن الكريم أو الحـديث الشريف أو شعر الجاهليين أو الإسلاميين أو المخضرمين ؛ فمما جاء على هذا النحو من شعر المولدين:

١ - اسـتأنس ابن جنى فى كلامه عن إشباع الضمة فى الشعر حتى تنشأ بعدها الواو بقول أبى تمام:

يقول فيُسمِعُ ، ويمشى فيُسرِعُ ويضرب فى ذات الإله فيُوجِعُ[1]

«فالواو فى اللفظ بعد العين فى (يُسْمِعُ) إنما هى إشباع ضمة العين، وذلـك أن البيت لا يُقفَّى ولا يُصَرَّع فى وسط المصراع الأول، وأما الواو بعـد عـين (يُسْرِعُ) فواو الإطلاق، وذلك أن البيت مُقَفًّى، والبيت إذا كان

(١) ديوان أبى تمام، والبيت من قصيدته التى مطلعها: أمَا إنّه لولا الخليطُ المودعُ، ص ١٤٣.

مُقَفًّـــى أو مُصَرَّعًا جرى على عَرُوضه ما يجرى على ضربه، وهذا بيّن من حال التصريع والتقفيه».[١]

٢ - تمثّل ابنُ جنّى فى (المحتسب) للّفظين يُبنى أحدهما على الآخر بقول أبى تمام:

ومكارمًا عُتُق النِّجَار تليدةً إن كان هَضْبُ عمايتين تليدًا[٢]

فـــى سياق عرضه لقراءة أبان بن تغلب (خطايانا إن كنا)[٣]؛ حيث بنى أبو تمام مجد المكارم على مجد العمايتين؛ فكلاهما تليد قديم متوارث.

٣ - ومما ساقه ابن هشام للمتنبى - على سبيل التمثيل لا الاستشهاد - فى جواز حذف ألف الاستفهام:

أحيَا وأيْسَرَ ما قَاسَيْتُ مَا قَتَلا والبينُ جارَ على ضَعْفِى وما عَدَلا[٤]

«أحيا: فعل مضارع والأصل أأحيا؟ فحذفت همزة الاستفهام، والواو للحـــال والمعنى التعجب من حياته. يقول: كيف أحيا وأقل شىء قاسيته قد قتل غيرى؟، والأخفش يقيس ذلك فى الاختيار عند أمن اللبس، وحمل عليه قوله تعالى ﴿وتلك نعمة تمنها علىّ﴾[٥]، وقوله تعالى ﴿هذا ربى﴾[٦]».

---

(١) سر صناعة الإعراب، ٦٣١/٢ .

(٢) ديوان أبى تمام، من قصيدته التى مطلعها: طلل الجميع لقد عفوتَ حميدا، ص ٦٩. وانظر: المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنى، تحقيق علىّ النجدى ناصف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٢٧/٢، ١٢٨.

(٣) الشعراء، من الآية ٥١، وسياق الآية ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين﴾.

(٤) ديوان المتنبى، والبيت مطلع قصيدة قالها فى صباه، ص ١٠ .

(٥) الشعراء، من الآية ٢٢.

(٦) الأنعام، من الآية ٧٧، والآية ﴿فلما رءا القمر بازغًا قال هذا ربى﴾. والنص مقتبس من مغنى اللبيب، ص ٢٠ .

٤ – ومما تمثَّل به ابن هشام – أيضًا – فى ورود (أم) محتملة الاتصال والانقطاع للمتنبى:

لُيَيْلَتُنَا المنوطةُ بالتَّنادِى[١] أُحادٌ أم سُداسٌ فى أحادِ

«فإن قدرتها فيه متصلة فالمعنى أنه استطال الليلةَ فشك أواحدة هى أم ست اجتمعت فى واحدة فطلب التعيين، وهذا من تجاهل العارف ... وعلى هذا فيكون قد حذف الهمزة قبل (أحاد) ويكون تقديم الخبر وهو (أحاد) على المبتدأ وهو (لُيَيلتنا) تقديمًا واجبًا؛ لكونه المقصود بالاستفهام مع (سُداس)».[٢]

والذى يَدُلنا على أن ابن هشام ساق هذا البيت للمتنبى مستأنسًا ومتمثلاً به لا مستشهدًا أنه جعل شاهده الأصلى – فى احتمال ورود (أم) محتملة الاتصال والانقطاع – قوله تعالى ﴿**قل آتخذتم عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون**﴾[٣].

٥ – فى إضافة (أى) الموصولة إلى معرفة تمثَّل ابن هشام بقول المتنبى:

أىَّ يومٍ سَرَرْتنى بوصالِ لم تَرُعنى ثلاثةٌ بصدودِ[٤]

قال ابن هشام: «ليست فيه (أى) موصولة؛ لأنَّ الموصولة لا تضاف إلا إلى المعرفة، قال أبو على فى التذكرة فى قوله:

أرأيتَ أىَّ سوالفٍ وخدُودِ برزت لنا بين اللِّوى فزَرودِ[٥]

---

(١) ديوان المتنبى، والبيت مطلع قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى، ص ٧٦.

(٢) مغنى اللبيب، ص ٦٩ .

(٣) البقرة، من الآية ٨٠، وصدر الآية (وقالوا لن تمسنا النارُ إلا أيامًا معدودة قل أتخذتم ...).

(٤) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها كم قتيلٍ كما قُتلتُ شهيد، ص ١٤.

(٥) ديوان أبى تمام، ص ٦٣، ورواية الديوان عنَّت لنا.

لا تكون (أى) فيه موصولة لإضافتها إلى نكرة، انتهى.

ولا شـــرطية؛ لأن المعنى حينئذ إن سررتنى يومًا بوصالك آمنتنى ثلاثـــة أيـــام من صدودك، وهذا عكس المعنى المراد، وإنما هى للاستفهام الذى يُراد به النفى».(١)

وقـــد ســـاق ابن هشام هذا البيت للمتنبى بعدما عرض أنواع (أىّ) بفتح الهمزة وتشديد الياء، واستشهد للموصولة بقوله تعالى ﴿**ثم لننزِعَنَّ من كل شيعةٍ أيُّهُم أشَدُّ على الرحمنِ عتِيًا**﴾(٢) .

٦ - وتمـــثَّل ابـــن هشام فى سياق كلامه عن مخالفة قوم فى اقتضاء (ثم للترتيب مستشهدين - فيما استشهدوا - بقول أبى نواس:

إن مَن سَاد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد قبلَ ذلك جدُّه(٣)

تمثل بقول ابن الرومى(٤):

قالوا: أبو الصقرِ من شيبانَ، قلت لهم ... كلاَّ لعمرى، ولكن منه شيبانُ

وكم أبٍ قد علا بابن ذرا حسبٍ ... كما علتْ برسولِ اللهِ عدنانُ(٥)

أجاب ابن عصفور بأن المراد أن السؤدد من قِبَل الأب، والأب من قِبَل الابن .(٦)

---

(١) مغنى اللبيب، ص ١١٠ .

(٢) مريم، الآية ٦٩ .

(٣) ديوان أبى نواس، ص ١٨٣، ورواية الديوان:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ** قبله، ثم قبل ذلك جَدُّه

(٤) على بن العباس بن جريح الرومى، أبو الحسن، شاعر كبير من طبقة بشار، والمتنبى، رومى الأصل، توفى ببغداد مسمومًا سنة ٢٨٣هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ٣٥٨/٣، ٣٦٢، والأعلام للزركلى، ص ٢٩٧١.

(٥) ديوان ابن الرومى، تحقيق: حسين نصار، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨١م، ٢٤١٩/٦.

(٦) مغنى اللبيب، ص ١٥٩، ١٦٠.

٧ – وتمثّل ابن هشام بقول ابن المعتز[١]:

مرَّتْ بنا سحرًا طيرٌ فقلتُ لها: طُوباكِ، يا ليتنى إيَّاكِ، طُوباكِ[٢]

لنصب (ليت) اسمها وخبرها فى رأيٍ للفراء وبعض أصحابه على ما يقول ابن هشام.[٣]

٨ – وتمثّل ابن هشام بقول المتنبى:

وما كنتُ ممنْ يدخل العشقُ قلبَهُ ولكنّ مَن يُبصرْ جُفونكِ يعشقُ[٤]

لحذف اسم (لكنّ).[٥] قال ابن هشام «وبيت الكتاب:

ولكنّ مَن لا يلقَ أمرًا ينوبهُ بعُدَّتِهِ ينزلْ بهِ وهْو أعزلُ[٦]

ولا يكون الاسم فيهما (مَنْ) لأن الشرط لا يعمل فيه ما قبله».[٧]

٩ – ذكر ابن هشام قول المتنبى متمثلاً به ومستأنسًا أيضًا فى عَدِّه (الألف) علامةً للاثنين:

ورمى وما رمتا يداه فصابنى سهمٌ يعذّبُ والسهامُ تُريحُ[٨]

---

(١) عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم العباسى الشاعر المبدع، آلت إليه الخلافة واستصغروه فخلعوه، توفى سنة ٢٩٦هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ٣/٧٦-٨٠، والأعلام للزركلى، ٤/١١٨.

(٢) لم أقف على هذا البيت فى ديوان ابن المعتز.

(٣) مغنى اللبيب، ص ٣٩٦.

(٤) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى، ص ٣٣٥.

(٥) مغنى اللبيب، ص ٣٨٤.

(٦) قائله أمية بن أبى الصلت، ديوانه، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٣٤م، ص ٤٦. وانظر: الكتاب ١/٤٣٩ .

(٧) مغنى اللبيب، ص ٣٨٤.

(٨) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: جللاً كما بى فَلْيَكُ التبريح، ص ٦٠.

=

ولو كانت الألف التى للاثنين هى التى فى (رمتا) حرف لا محل له مـــن الإعـــراب، ولم تكن ضميرًا يدل على الفاعل، كان التركيب ضعيفًا مندرجًا تحت أنماط لغة (أكلونى البراغيث).

ولو كانت هذه الألف ضميرًا و(يداه) بدلاً منها لخرج البيت من مقام التمـــثل به لألف الاثنين التى ذكرها ابن هشام فى نوع مُغاير لألف ضمير الاثنين.

١٠ – وتمثل ابن هشام بقول المتنبى:

أىَّ يوم سررتنى بوصالٍ لم تسؤنى ثلاثةٌ بصدودِ[١]

لاكتساب (أى) الظرفيةَ بالإضافة، يقول: «وأى فى البيت استفهامية يـــراد بها النفى، لا شرطية؛ لأنه لو قيل مكان ذلك (إن سررتنى) انعكس المعنى، لا يُقال: يدل على أنها شرطية أن الجملة المنفية إن استؤنفت ولم ترتبط بالأولى فسد المعنى؛ لأنا نقول: الربط حاصل بتقديرها صفة لوصال والرابط محذوف، أى لم ترعنى بعده».[٢]

والـــذى يدلنا على أن بيت المتنبى السابق سيق على سبيل التمثيل والاستئناس لا الاستشهاد أنَّ ابن هشام جعل شاهده الأصلى فى هذه المسألة قوله تعالى ﴿**تؤتى أكلها كل حين**﴾[٣] .

وانظر: مغنى اللبيب، ص ٤٨٥.

(١) سبق تخريجه.

(٢) مغنى اللبيب، ص ٦٦٨.

(٣) إبراهيم، من الآية ٢٥. وسياقها ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبة كشجرةٍ طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء (٢٤) تؤتى أكلها كل حينٍ بإذن ربها ...﴾.

١١- وتمـــثل ابن هشام أيضًا بالمتنبى للمعربِ يراعى معنًى صحيحًا، ولا ينظر فى صحته فى الصناعة:

وفاؤكما كالربع أشجاهُ طاسمهْ بأنْ تُسعِدَا والدمعُ أشفاهُ سلجمه[١]

يقول: «وقد سألَ أبو الفتح المتنبى عنه، فأعرب (وفاؤكما كالربع) مبتدأ وخبره وعلق الباء بـــ (وفاؤكما) فقال له: كيف تخبر عن اسم لم يتم؟ فأنشده قول الشاعر:

لسنَا كمَنْ جعلتْ إيادٍ دَارَها تكريتَ تمنعُ حَبها أن يُحصدا[٢]

أى إن (إيـــاد) بدل مِن (مَنْ) قبل مجيء معمول جعلت وهو دارها، والصواب تعليق دارها وبأن تسعدا بمحذوف، أى جعلت، ووفيتما، ومعنى البـــيت وفاؤكما يا صاحبىّ بما وعدتمانى به من الإسعاد بالبكاء عند ربع الأحبة إنما يُسلينى إذا كان بدمع ساجم، أى هامل، كما أن الربع إنما يكون أبعث على الحزن إذا كان دارسًا».[٣]

١٢- وتمثل ابن هشام أيضًا لما يحتمل المصدرية والحالية والمفعول لأجله بقول المتنبى:

لِبلى الهوَى أسفًا يومَ النوَى بدنى[٤]

قـــال ابن هشام: «والتقدير أسف أسفًا، ثم اعترض بذلك بين الفاعل والمفعـــول به أو إبلاء أسف أو لأجل الأسف، فمن لم يشترط اتحاد الفاعل فـــلا إشـــكال، وأمَّا من اشترطه فهو على إسقاط لام العلة توسعًا، كما فى

---

(١) ديوان المتنبى، والبيت مطلع قصيدة يمدح بها الأمير أبا الحسن على بن حمدان، ص ٢٤٢.

(٢) البيت للأعشى، ديوانه، تحقيق: فوزى عطوى، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٨م، والبيت من قصيدته التى مطلعها: أثوى وقصَّرَ ليلةً ليزوُدا، ص ٢١٧ .

(٣) مغنى اللبيب، ص ٧٠١.

(٤) ديوان المتنبى، ص ١. وعجزه: وفرق الهجر بين الجفن والوسن.

قوله تعالى: ﴿ويبغونَها عوجًا﴾[1]»».[2]

١٣ – تمثّل ابن هشام – أيضًا – بقول المتنبى:

إذَا الجودُ لم يُرزق خلاصًا من الأذى فلا الحمدُ مكسوبًا ولا المالُ باقيا[3]

لمخالفــة (لا) لــ(ليس) فى أنّ (لا) لا تعمل إلا فى النكرات خلافًا لابن جنّى وابن الشجرى – على ما يقول ابن هشام:[4]

«وعلى ظاهر قولهما جاء قول النابغة:

وحلّت سوادَ القلبِ لا أنا باغيا سواها، ولا عن حُبها متراخيا[5]

وعليه بنى المتنبى قوله السابق».[6]

١٤ – وتمثّل ابن هشام لاختصاص لو بالفعل بقول المتنبى:

ولو قلمٌ ألقيت فى شقِّ رأسه من السُّقم ما غيَّرتُ من خطِّ كاتب[7]

فقــيل: لحــن؛ لأنــه لا يمكن أن يقدر ولو ألقى قلم، وأقول: روى بنصب قلم ورفعه، وهما صحيحان، والنصب أوجه بتقدير ولو لابست قلمًا، كما يقدر فى نحو (زيدًا حبست عليه) والرفع بتقدير فعل دل عليه المعنى، أى ولو حصل قلم، أى ولو لوبس قلم ....

وعلى الرفع فيكون ألقيت صفة لقلم، ومن الأولى تعليلية على كل حال

---

(١) هود، من الآية ١٩، وسياق الآية ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون﴾ .

(٢) انظر: مغنى اللبيب، ص ٧٣٠.

(٣) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا، ص ٤٣٩.

(٤) مغنى اللبيب، ص ٣١٥، ٣١٦.

(٥) لم أقف عليه فى ديوانه.

(٦) مغنى اللبيب، ص ٣١٥، ٣١٦.

(٧) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: أعيدوا صباحى فهو عند الكواعب، ص ٢٠٩.

مـــتعلقة بألقيت، لا بغيرت؛ لوقوعه فى حيز ما النافية وقد تعلق بغيرت؛ لأن مثل ذلك يجوز فى الشعر.[1]

١٥ – وفى إضافة (إذ) إلى الجملة الاسمية تمثَّل ابن هشام بقول المتنبى:

أمِنَ ازديارِكِ فى الدُّجى الرُّقباء إذ حيث كنت من الظَّلام ضياءُ[2]

«احـــتملت (إذ) الظـــرفية والتعليلـــية .... وشرحه أن (أمن) فعل ماض، .... والازدياد أبلغ من الزيارة كما أن الاكتساب أبلغ من الكسب؛ لأن الافتعال للتصرف ... والمعنى أنهم أمِنوا دائمًا أن تزورى فى الدجى، و(إذ) إمَّا تعليل أو ظرف مبدل من محل فى الدجى، و(ضياء) مبتدأ خبره (حيث)».[3]

١٦ – تمثل السيوطى لتشبيه (سوى) بـــ(غير) بقول أبى الطيب:

أرضٌ لها شرف سواها مثلها لو كان مثلك فى سواها يوجد[4]

يقـــول الســـيوطى: «رفـــعَ (سوى) الأولى بالابتداء وخفض الثانية بـــ(فى) فأخرجها من الظرفية».[5]

---

(١) مغنى اللبيب، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(٢) ديوان المتنبى، والبيت مطلع قصيدته التى مدح بها أبا على هارون بن عبد العزيز الكاتب، ص ١١٤ .

(٣) مغنى اللبيب، ص ١١٩، ١٢٠.

(٤) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: اليوم عهدكم فأين الموعد، ص ٤٣. وانظر: الأشباه والنظائر للسيوطى، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣ ، ١٧٢/٥ .

(٥) المصدر السابق، والموضع نفسه.

١٧ – وتمثل السيوطى لاسم الإشارة يسبقه حرف التنبيه بقول أبى الطيب:

ذى المعالى فَلْيَعْلُون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا[١]

«فحرف التنبيه – هنا – متقدم على الكاف ... وإنما القاعدة فيه مع سائر حروف الجر أن يتأخر عنها كقولك: بهذا، ولهذا».[٢]

١٨ – وتمثل السيوطى – أيضًا – لما شاع فى كلام العرب فى حمل الشىء على معناه – لنوع من الحكمة – بقول المتنبى:

لو استطعتُ ركِبْتُ الناسَ كلَّهم إلى سعيد بن عبد الله بُعْرانا[٣]

«قالوا معناه لو استطعت جعلت الناس بعرانا فركبتهم إليه؛ لأن فى (ركبت) ما يؤدى معنى (جعلت)، وليس فى (جعلت) معنى (ركبت)».[٤]

١٩ – ومما تمثل به السيوطى للمبتدأ الذى ليس له خبر قول أبى نواس:

غَيْرَ مَأسوفٍ على زَمَن يَنْقضى بالهمّ والحَزَنِ[٥]

يقول: «فـ(غير) مبتدأ لا خبر له ...؛ لأنه محمول على (ما) كأنه قيل: ما يأسف على زمن، كما فى قولهم: ما قائم أخواك».[٦]

---

(١) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: ذى المعالى فَلْيَعْلَوَنْ من تعالى، ص ٤٠٣. وانظر: الأشباه والنظائر، ٢٧٣/٧ ، ٢٧٤.

(٢) الأشباه والنظائر، ٢٧٣/٧، ٢٧٤.

(٣) ديوان المتنبى، ص ١٦٨. وانظر: الأشباه والنظائر، ٩٨/٦، ٩٩.

(٤) الأشباه والنظائر، ٩٨/٦، ٩٩.

(٥) لم أعثر عليه فى ديوانه.

(٦) الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى، تحقيق: د. عبد العال مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ٩٤/٣، ٩٥.

٢٠ - وتمثل السيوطى كذلك لما يعدل فيه الشاعر إلى التصريح دون الإضمار لغرض التعظيم قول أبى تمام:

قد طَلَبْنا فلم نَجِدْ لك فى السؤدد والمجد والمكارم مِثْلا[١]

يقول السيوطى: «فإن إيقاع الطلب على المثل أوقع من إيقاعه على ضميره لو قال: طلبنا لك مثلاً فلم نجده».[٢]

٢١ - وتمثل السيوطى فى همع الهوامع للواو تختص بعطف ما حقه التثنية أو الجمع بقول أبى نواس:

أقمنا بها يومًا ويومًا وثالثًا ويومًا له يومُ الترحل خامسُ[٣]

* * * * *

هذه نماذج ممَّا ورد من التمثّل بشعر المولدين فى كتب التراث اللغوية والنحوية، فقد رأينا استئناس ابن جنى بشعر أبى تمام فى غير موضع من سر صناعة الإعراب والمحتسب، واستئناس ابن هشام بشعر المتنبى فى غير موضع من مغنى اللبيب واستئناسه كذلك بشعر أبى نواس وابن المعتز فى المغنى أيضًا، واستئناس السيوطى بشعر المتنبى فى الأشباه والنظائر وهكذا.

ومواضع الاستئناس والتمثل بذلك الشعر أكثر عددًا إذا قارناها بالمواضع التى سبق فيها الشعر المولد بوصفه شاهدًا لا مثالاً.[٤]

وسبق أن ذكرت المعيار الذى اعتمدت عليه فى توصيف البيت

---

(١) نسبةُ البيت لأبى تمام نسبةٌ خاطئة، والصواب أنها للبحترىّ. ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفى، دار المعارف، ١٩٦٤م، ١٦٥٥/٣ .

(٢) الأشباه والنظائر، ١٥٦/٧.

(٣) ديوان أبى نواس، ص ٣٠٠. وانظر: همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع للسيوطى، تحقيق: د. عبد العال مكرم، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ٢٢٧/٥ .

(٤) انظر المبحث الثانى من هذا البحث.

علـــى أنه شاهد أو مثال؛ فالبيت المسبوق بشاهد من عصور الاحتجاج يعدّ مثالاً، والبيت المولد الذى يبدأ به فى الاستشهاد للمسألة يعد شاهدًا.

وإنـــى لا أرى بأسًـــا بأن يستأنس أو يتمثّل علماؤنا فى مصنفاتهم بشعر المولدين بعد سياق الشواهد من آيات القرآن أو حديث رسول الله ﷺ أو طبقات الجاهليين والإسلاميين والمخضرمين.

لكـــن هناك من علمائنا المعاصرين من لم ينتصر للاستئناس بذلك الشعر؛ يقول أستاذنا الدكتور إبراهيم عبادة: «ومع الحظر الشديد والمراقبة تسللت شواهد لأبى نواس وأبى تمام والمتنبى وأبى العلاء المعرى وعرفت طريقها إلى كتب النحو، واغتفر لها هذا التسلل ببطاقة كتب عيها (للتمثيل والاســـتئناس) أو الاحتجاج فى المعانى ، ويلتمس لهم الأعذار لاحتجاجهم بشعر هؤلاء فى عصور الاحتجاج فى النحو العربى».(١)

رابعًا: نقد شعر المولدين فى كتب التراث وتفسيره وتحليله:

وقـــف علمـــاء التـــراث من شعر المولدين - على إجماعهم بعدم الاحتجاج به - موقفًا موضوعيًّا من الناحيه التطبيقية فى مؤلفاتهم ؛ فتمثلوا بجـــيّده كمـــا رأينا فى المبحث السابق، وانتقدوا ما وقع فيه لحن لغوى أو خطأ نحوى من ذلك الشعر.

وهـــناك نماذج من شعر المولدين وقف منها علماؤنا موقف المحلِّل المفسِّر المتسائل؛ فلم يعجلوا بإقرار الأنماط اللغوية التى تخالف نظام اللغة، ولـــم يتســـرعوا فيخطئوا تلك النماذج، ونمضى فى الصفحات التالية لبيان نماذج من النقد والتفسير والتحليل:

---

(١) عصور الاحتجاج فى النحو العربى، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

١ - انتقد ابن هشام المتنبى فى قوله:

إذا الجودُ لم يرزق خلاصًا من الأذى فلا الحمدُ مكسوبًا : ولا المال باقيًا[١]

لأنــه أعمــل (لا) عمــل ليس واسمها معرفة، «ولإعمالها أربعة شــروط: أن يتقدم اسمها وألا يقترن خبرها بألا وأن يكون اسمها وخبرها نكرتين، وأن يكون ذلك فى الشعر لا فى النثر».[٢]

قــال الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد محقق القطر: «وقد أنشد المؤلف هذا البيت ليبين أن هذا الذى فعله المتنبى خطأ؛ لأن اسم (لا) عنده لا يكــون إلا نكــرة، لكــن هذا الذى أنكره المؤلف على المتنبى قد أجازه جماعة من النحاة منهم ابن الشجرى، وقد حكاه ابن عقيل عنه، واستدلوا له بقول النابغة الجعدى:

وحلَّتْ سَوَادَ القَلْبِ لا أنَا بَاغِيًا سِوَاهَا: ولاَ عَنْ حُبِّهَا مُتَرَاخِيَا

وقــد أنشــد المؤلف بيت المتنبى فى كتابه شذور الذهب (رقم ٩٤) علــى أنــه صحيح على مذهب جماعة من النحاة يجيزون مجىء اسم لا معرفة بالألف واللام، واحتج له بقول الشاعر:

أنْكَرْتُهَا بَعْدَ أعْوَام مَضَيْنَ لَهَا لاَ الدَّارُ دَارًا ولاَ الجِيرَانُ جِيرَانَا

فلا محل بعد ذلك كله لتغليط المتنبى».[٣]

٢ - ولحنوا أبا نواس فى قوله:

كأن صُغْرَى وكبرى من فقاقعها حصباء دُرّ على أرض من الذهب[٤]

---

(١) ديوان المتنبى، من قصيدته التى مطلعها: كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا، ص ٤٣٩.

(٢) قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصارى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر، ص ٢٠١.

(٣) هامش ٢٠٢ قطر الندى، دار الفكر.

(٤) ديوان أبى نواس، ص ٣٩. وانظر: قطر الندى، دار الفكر، ص ٤٥٠.

ويوضح محل اللحن الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد فيقول: «إن ابن هشام - كجماعة من النحاة - قد اعتبروا كل واحدةٍ من (صغرى) و(كبرى) أفعل تفضيل وبنوا على ذلك تخطئة أبى نواس؛ لأن من حق أفعل التفضيل إذا كان مجردًا من (أل) والإضافة أن يكون مفردًا مذكرًا مهما يكن أمر الموصوف به، فكان عليه أن يقول: كأن (أصغر) و(أكبر) من فقاقعها، أو يقول كأن (الكبرى) و(الصغرى)، إلا أنك لو تأملت أدنى تأمل لوجدت الشاعر لم يرد معنى التفضيل، وإنما أراد معنى الصفة المشبهة: أى كأن الفقاعة الصغيرة والفقاعة الكبيرة من فقاقع هذه الخمر ...الخ، والصفة المشبهة تطابق ما تجرى عليه، فإذا كانت جارية على مفرد مؤنث كما هنا كان الواجب فيها الإفراد والتأنيث، وهذا هو الذى فعله الشاعر؛ لذلك نرى أنه لم يأت إلا بالقياس المطرد، ومثل هذا الكلام يصح أن يقال فى توجيه قول العروضين : فاصلة كبرى، وفاصلة صغرى؛ فهم يريدون الفاصلة الكبيرة والصغيرة، ولا يريدون معنى أصغر وأكبر».(١)

٣ - وقال الأحمر فى قول أبى نواس:

أسرَعَ من قول قَطَاةٍ قَطُّ(٢)

قال: أخطأ فى قوله (قَطَا) مشددة، إنما يقولون (قَطَا) مخففة. قال أبو محمد: أصاب أبو نواس، وأخطأ الأحمر لإعجابه بنفسه، وتوهمه أنه محيط بعلم العرب كله، وقد ذكر (قطّ) بالتشديد فى شعر من هو حجة فى العربية محمد بن ذؤيب العمانى الراجز فى قوله:

---

(١) قطر الندى، دار الفكر، ص ٤٥٠، ٤٥١.

(٢) ديوان أبى نواس، ص ٣٤٢ .

كمثل أسراب القطا ذى اللقَطِ صوادرًا عن مُذهِنٍ ورَقْطِ[1]

٤- ونقد ابن جنى فى (سر صناعة الإعراب) المتنبى فى إلحاقه الهاء فى قوله:

(وا حرّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ)[2]

عند الوصل، ووجه النقد «أن الهاء التى تلحق لبيان الحركات وحروف اللين إنما تلحق فى الوقف، فإذا صرت إلى الوصل حذفتها البتة، فلم توجد فيه ساكنة ولا متحركة، ودل هذا على ضعف بيت المتنبى».[3]

ومما انتقد ابن جنى المتنبى فيه أن يقول:

وقُلنا للسيوف: هَلُمُنّا[4]

يقول: «ودار بينى وبين المتنبى كلام فيه طول، وأنكرت ضمّ الميم هنا من طريق القياس إلى أن قال لى: فكيف كان ينبغى أن يكون إذا أكدته هنا بالنون؟ فقلت: كان قياسه أن تقول: هَلْمُنّانّ. فقال: هذا طويل. فقلت: هذا جواب مسألتك، فأما طوله وقصره فشىء غير ما نحن فيه».[5]

٥- قال ابن هشام فى سياق كلامه عن مواضع حذف حرف النداء: «ولحّن بعضهم المتنبى فى قوله:

هذى برزْتِ لنا فهجتِ رسيسا[6]

---

(١) تذكرة النحاة لأبى حيان الأندلسى، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٩٨٦م، ص ٤٢٣.

(٢) ديوان المتنبى، ص ٣٢٢. وعجزه: ومن بجسمى وحالى عنده سقمُ.

(٣) سر صناعة الإعراب، ابن جنى، تحقيق: د. حسن هنداوى، دار القلم، دمشق، ٥٦٢/٢ بتصرف

(٤) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: نزور ديارًا ما نحب لها مغنى، ص ٣٠٩. وصدره: قصدنا له قصد الحبيبِ لقاؤه.

(٥) سر صناعة الإعراب، ٧٢٢/٢.

(٦) ديوان المتنبى، ص ٥٢. وعجزه: ثم انصرفتِ وما شفيتِ نسيسا.

وأجيب بأن (هذى) مفعول مطلق، أى برزت هذه البرزة ورده ابن مالـك بأنه لا يُشار إلى المصدر إلا منعوتًا بالمصدر المشار إليه كضربته ذلك الضرب».(١)

قال محققو المغنى(٢): «يجيز الكوفيون حذف حرف النداء قبل اسم الإشارة والمتنبى كوفىٌ فلا يُنكر منه ذلك.

وللجهـل بمواقـع هـذه الألفاظ استعملها المتنبى فى غير موضع التقسيم فقال:

أحادٌ أم سُداسٌ فى أحادِ ... لُيَيْلَتُنا المنوطةُ بالتَّنادى»(٣)

٦ - توجيه (لها) من قول المتنبى:

لولا مُفارقةُ الأحباب ما وجدتْ ... لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا(٤)

«قال ابن هشام الظاهر أن (لها) جار ومجرور متعلق بوجدت، لكن فـيه تعـدِّى فعل الظاهر إلى ضميره المتصل كقولك (ضربه زيد) وذلك ممتـنع؛ فينبغى أن يقدر صفة فى الأصل لسُبُلا، فلما قدم عليه صار حالاً مـنه، كمـا أن قـوله (إلـى أرواحنا) كذلك؛ إذ المعنى سبلاً مسلوكة إلى أرواحـنا، ولـك فى (لها) وجه غريب، وهو أن تقدره جمعًا للهاة كحصاة وحصًـى ويكـون (لها) فاعلاً بوجدت، والمنايا مضافًا إليه، ويكون إثبات اللهـوات للمنايا استعارة، شبهت بشىء يبتلع الناس، ويكون أقام اللَّها مقام الأفواه لمجاورة اللهوات للفم».(٥)

---

(١) مغنى اللبيب، ص ٨٤٠، ٨٤١.

(٢) الدكتور/ مازن المبارك، والأستاذ/ محمد على حمد الله، وانظر: هامش، ٨٤١ مغنى اللبيب.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: أحيا وأيسرُ ما قاسيتُ ما قتلا، ص ١٠.

(٥) مغنى اللبيب، ص ٢٩٤.

٧ – ومما غلَّط ابن هشام المتنبى فيه زيادة الباء فى فاعل (كفى) المتعدية لواحد فى قوله:

كفى بُعَلاً فخرًا بأنَّك منهم ... ودهر لأن لُسيت من أهله أهل[١]

يقــول ابن هشام: «ولم أر من انتقد عليه ذلك؛ فهذا إمَّا لسهو عن شــرط الزيادة، أو لجعلهم هذه الزيادة من قبيل الضرورة أو لتقدير الفاعل غير مجرور بالباء».[٢]

٨– ومما خطَّأ ابنُ هشام الأخفش فيه أن يتعدى فعل المضمر المتصل إلى ضميره المتصل؛ وعليه لم يَعُدّ ابن هشام (عن) فى قول أبى نواس:

دع عنك لومى فإن اللومَ إغراءُ ...[٣]

اســمًا مستدلاً بأنه لا يصح حلول (الجانب) معها؛ أى ردَّ أن تكون اسمًا بمعنى جانب.[٤]

٩– تساءل السيوطى عن الضمير (هو) فى قول أبى الطيب:

هو الجدُ حتى تفضُلَ العينُ أختها ... وحتى يكون اليومُ لليومِ سيدا[٥]

وجوابه «تقدير قول المتنبى (هو الجد) إلى آخره، معناه: (الجد) أى الكامل الجد بهذه الصفة».[٦]

---

(١) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: عزيزٌ أسى من داؤه الحدق النجل، ص ٤١.

(٢) مغنى اللبيب، ص ١٤٥.

(٣) ديوان أبى نواس، والبيت مطلع قصيدة يخاطب بها إبراهيم النظام أحد أئمة المعتزلة، ص ١١. وعجزه: وداونى بالتى كانت هى الداءُ.

(٤) مغنى اللبيب، ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٥) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: لكل امرئ من دهره ما تعودا، ص ٣٥٩. وانظر: الأشباه والنظائر، ٢٠٢/٨.

(٦) الأشباه والنظائر، ٢١٥/٨.

وقــد سَوَّى السيوطى بين هذا المعنى للمتنبى وقول المعرى: (هو الهجر حتى ما يلم خيال)، «أى الكامل الهجر، وهو ألا يلم خيال، فمتى أَلَمَّ خيال لم يكمل الهجر».(١)

١٠- حمل الاستراباذى(٢) حذف صلة الهاء إذا كان قبلها متحرك فى قول المتنبى:

تعثرت به فى الأقواه ألسنُها ... والبُرْدُ فى الطُّرُقِ والأقلامُ فى الكتبِ(٣)

علــى الضــرورة «وذهب الزجاج إلى أن الصلة بعد الهاء ليست من أصــل الكلمــة، وهو ظاهر مذهب سيبويه، واستدل الزجاج عليه بحذفها فى الوقــف، وليس بقوى؛ لأن ما هو من نفس الكلمة من حروف اللين قد يحذف كمــا فى (القاضى)، وأما وجوب حذف الصلة فى الوقف دون ياء (القاضى) فلكونها مما له حظ فى السقوط فى حال الوصل، نحو (منه) و(فيه)».(٤)

١١- ومن مشكل التراكيب التى وقعت فيها كلمة (غير) قول الحُكميّ (أبى نواس):

غيرُ مأسوفٍ على زمنٍ ... ينقضى بالهمِّ والحَزَنِ(٥)

ذكر ابن هشام فى (غير) ثلاثة أوجه:

أن (غيــر) مبتدأ لا خبر له، بل لما أضيف إليه مرفوع يغنى عن الخبــر، والثانى: أن غير خبر مقدم، والأصل زمن ينقضى بالهم والحزن

(١) الأشباه والنظائر، ٢١٥/٨ .

(٢) شرح الشافية ، ٣٠٧/١، ٣٠٨.

(٣) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: يا أخت خير أخٍ يا بنتَ خير أبٍ، ص ٤٢٣.

(٤) شرح الشافية، ٣٠٩/١.

(٥) البيت فى الخزانة.

غير مأسوفٍ عليه، والثالث: أنه خبر لمحذوف، ومأسوف مصدر جاء على مفعـول كالمعصـور والميسور والمراد به اسم الفاعل، والمعنى: أنا غير آسفٍ على زمنٍ هذه صفته.(١)

١٢- وجّه ابن هشام كلمة (يدها) فى قول المتنبى يذكر دار المحبوب:

ظَلَتْ بها تَنْطوى على كبدٍ نضيجةٍ فوقَ خِلْبها يَدُهَا(٢)

فاعلـة بـ(نضيجة)، أو بالظرف أو بالابتداء، قال: «والأول أبلغ لأنـه أشد للحرارة، والخِلْب: زيادة الكبد، أو حجاب القلب، أو ما بين الكبد والقلب، وأضاف اليد إلى الكبد للملابسة بينهما، فإنهما فى الشخص».(٣)

* * * * *

تعدّ هذه النماذج النقدية دليلاً على المنهج الموضوعى الذى انتهجه علماؤنـا المـتقدمون - رحمهم الله - نحو شعر المولدين ؛ فهم يتخيرون جيده للاستئناس به ويأخذون على أولئك الشعراء مواضع اللحن والخطأ.

وهـذا يدلنا على أن أولئك العلماء تعاملوا مع الواقع اللغوى للشعر المولد؛ فلم يهجروه لأنه خرج عن أُطُر الاحتجاج زمانية كانت أو مكانية.

ولـيس لـى أن أعـتمد علـى مواضع النقد هذه فى تعضيد عدم الاحتجاج بشعر الشعراء المولدين؛ حيث رأينا فى كتب اللغة والنقد مواضع خطأ العلماء فيها بعض الشعراء الذين يحتج بشعرهم.(٤)

فالمسألة إذن تحتاج إلى إحصائية دقيقة تحصر مواضع الخطأ عند الفريقين حتى يتسنى لنا بناء بعض النتائج عليها.

---

(١) انظر: مغنى اللبيب، ص ٢١١، ٢١٢.
(٢) ديوان المتنبى، والبيت من قصيدته التى مطلعها: أهلاً بدارِ سباك أغيدُها، ص ٢.
(٣) مغنى اللبيب، ص ٥٨٠.
(٤) الموشح للمرزبانى، تحقيق: على محمد البجاوى، دار الفكر العربى، د.ت، ص ٤٣، ٥٠، ٧٨، ٩٨. والشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، ١٩٨٢م، ١/١٣٥.

خامسًا : الخاتمة والنتائج :

١- لـم تعكـس المصـنفات اللغـوية والنحوية التنظير الذى أجمع عليه اللغويـون والنحاة فيما يتصل بأطر الاحتجاج ، لكن رأينا كيف وقف علماء التراث من شعر المولدين موقفًا موضوعيًا من الناحية التطبيقية فى مصنفاتهم؛ حيث لم يَدْعُهم الوقوف بالاحتجاج عند شعر الجاهليين والإسـلاميين والمخضرمين دون المولدين إلى ترك شعر هذه الطبقة الأخيرة أو إهماله .

ويـرى بعـض الباحثين أن «ذلك التعميم فى منع الاحتجاج بذلك الشعر يغفل الفروق بين أنواع النتاج اللغوى من شعر ونثر بمختلف أشكاله مـن خطب وأحاديث إلى آخره، ولاشك أن بعضًا من أشكال ذلك النتاج قد تتطلب طبيعته مستوى من القدرة اللغوية صوابًا وفصاحة لا يتطلبه غيره، وأن احـتمالات بلوغ الكمال الفنى اللغوى تتفاوت تبعًا لتفاوت طبائع تلك الأشكال، فنوط الاحتجاج بمستوى النتاج اللغوى أقرب إلى النظرة العلمية الموضوعية».(١)

٢- جعـل بعض العلماء نوع النص ومنتجه معيارًا يحدد ما يندرج تحت الاستشهاد أو الاحتجاج وما يندرج تحت التمثيل، «فإذا كان النص من النوع الذى يعتبر أساسًا للقواعد شعرًا أو نثرًا منسوبًا إلى شاعر موثّق به فى عصر الاستشهاد أو إلى قبيلة من القبائل التى وثّقت لغاتها فهو من النوع الأول وينبغى تقديسه واحترامه، أما إذا كان النص مصنوعًا أو غير موثوق بأن ساقه النحويّ نفسه أو ساقه عمن لا يحتج بكلامهم فهو (تمثيل) للقاعدة وغير ملزم وهدفه الإيضاح والبيان فقط».(٢)

---

(١) الاحتجاج بالشعر فى اللغة، الواقع ودلالته، د. محمد حسن جبل، دار الفكر العربى، ص ١٠٠.

(٢) الاستشهاد والاحتجاج باللغة، د. محمد عيد، عالم الكتب، ١٩٨٨م، ص ٥٨.

وأرى أن يجتمع مع هذا المعيار موقع الشاهد من المسألة، فإذا كان البيت المستشهد به أول ما ذكر النحاة واعتمدوا عليه فهو شاهد، وإذا سبق الشعر المولد شاهد مما يحتج به فذلك الشعر للتمثيل والاستئناس.

٣- نلاحظ من خلال هذه الدراسة التطبيقية - التى عالجها هذا البحث - أن علماءنا حكّموا النتاج الفنّى لهؤلاء الشعراء المولدين؛ فاحتجوا به فى مسائل لغوية أو نحوية محددة على المستوى التطبيقى كما سبق أن بينت، ولكن هذا الواقع لم يَدْعُهم إلى تجويز الاحتجاج بجيِّد شعر المولدين وطرح خبيثه؛ حتى لا يخالفوا إجماع العلماء على النطق الزمانية والمكانية لمسألة الاحتجاج.

ولكن الذى أجمعوا على تقريره الاستشهاد بذلك الشعر فى المعانى دون الألفاظ؛ وعلى هذا رأينا الاستشهاد به فى العديد من المعاجم كلسان العرب وتاج العروس وغيرهما، ثم الاستشهاد به فيما استحسنوه من المعانى والأغراض الشعرية، ثم الاستشهاد به فى مقام الحكمة.

وهذا من شأنه أن يحافظ على قوالب اللغة فيما يتعلق بنظام تراكيبها، ويساير التطور الدلالى - فيما يتصل بالمعانى - ذلك التطور الذى يسير بشكل سريع إذا ما قورن بتطور التراكيب من حيث مواضع ألفاظها ورتب أركانها.

وكان من الأولى تجويز الاحتجاج بالشعراء الذين ترتضى لغتهم بعد أطر الاحتجاج توافقًا مع ذلك المنهج الذى انتهجه علماؤنا - من الناحية التطبيقية لا النظرية - فى مصنفاتهم .

٤- إذا أردنا أن نقف على الأسباب التى دعت علماءنا إلى الاستئناس بشعر المولدين أمكن حصرها فيما يأتى:

أ- الاعتماد على أبيات محدّدة يتناقلها الخلف عن السلف؛ حيث أدى ذلك إلى تكرار هذه الأبيات؛ فابن جنى يأخذ عن شيخه أبى علىّ،

وعن ابن جنى يأخذ ابن هشام والسيوطى وهكذا.

ب- ميل بعض علمائنا إلى بعض الشعراء المولدين وتقديرهم لمستوى شعرهم؛ فلقد كان ابن جنى محبًّا لشعر المتنبى، وكان يسأله فى مسائل لغوية من شعره، واستشهد به فى (الخصائص) كما استشهد بأبى تمام فى (سرّ الصناعة)، ووصف ابن جنى المتنبى بالتنقيح والتجويد حيث يقول (أسقط المتنبى من شعره الكثير وبقى ما تداوله الناس.[1]

وبذلك التدقيق أيضًا وصف أبو هلال العسكرى البحترى حيث يقول: «كان البحترى يلقى من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذبًا، وكان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل وكان يرضى بأول خاطر فنعى عليه عيب كثير».[2]

وللمبرد عبارة فى الكامل تكشف عن موقف علمائنا المؤيد لكثير من الشعراء المولدين، يقول فى الكامل «قال بعض المحدثين وليس ينقصه حظه من الصواب أنه محدث».[3]

جـ- نسب لبعض العلماء أنهم كانوا يستشهدون ببعض شعر المولدين لخوف أو مجاملة؛ «حيث علَّلوا استشهاد سيبويه ببيت لبشار بخوف الأول من هجاء الثانى» .[4]

ومثال المجاملة (ما نُسب لأبى على الفارسى من مجاملته لعضد الدولة ابن بويه فى استشهاده بقول أبى تمام:

---

(١) خزانة الأدب ، ٢/٣٥٠ .

(٢) الصناعتين ، ص ١٣٥ .

(٣) الكامل، ٤/١٨ .

(٤) عصور الاحتجاج فى النحو العربى، ص ٢١١ .

من كان مَرْعَى عزمه وهمومه رَوْضُ الأمانى لم يزل مَهزولا[1]

حيث كان عضد الدولة يحب هذا البيت، مع أن ذلك لم يكن من مادته، وكان لأبى علىّ المنزلة العظمى عنده؛ حتى كان يقول أنا غلام أبى علىّ فى النحو.[2]

د- يتمثّل السبب الرابع فى تقرير النقلة بعض أشعار المولدين؛ لأنها توافق نظام اللغة وخلت من اللحن والخطأ؛ وهذا ما برَّر به الزركشى استشهاد الزمخشرى بشعر أبى تمام يقول: «ووجه الاستشهاد بتقرير النقلة كلامهم، وأنه لم يخرج عن قوانين العرب» .[3]

هـ- أما السبب الخامس فيتمثّل فى حاجة العلماء إلى سوق الشاهد على كل مسألة نحوية أو لغوية؛ والذى دعا إلى هذا:

- أن النحو ومسائل اللغة التى تتصل بنظام التراكيب وضعت على أساس وصفى استنباطى للغة القرآن الكريم والشعر العربى، مما دعا النحاة واللغويون إلى تعضيد آرائهم بشواهد من القرآن والشعر.
- كثرة التفصيلات والتفريعات التى انتهجها العلماء فى مصنفاتهم.

و- وكان للمناظرات اللغوية بين العلماء داعٍ إلى التمثل بذلك الشعر أيضًا؛ فلقد وقف كثير من اللغويين على تلمس التوجيهات النحوية التى تتسم مع لغة المتنبى فى شعره، من ذلك ما أورده السيوطى فى (الأشباه والنظائر) يقول: «قال ابن جنّى: أنشد أبو علىّ للمتنبى:

مِنْ كُلّ من ضاق الفضاءُ بِجَيْشِه حتى ثَوَى فحواه لَحْدٌ ضَيِّقُ[4]

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) عصور الاحتجاج، ص ٢١١، وتفصيل هذه الرواية فى إيضاح شواهد الإيضاح، ١/١٣٥، ٣٦

(٣) المزهر ، ١/٥٨ ، ٥٩ .

(٤) لم أقف عليه فى ديوان المتنبى.

وقال لأصحابه: كم مجرورًا فى هذا البيت؟.

فقال بعض الحاضرين: خمسة، وقلت أنا: ستّة، فتعجّبوا من قولى، وقالـوا قد عرفنا (كل)، و(من)، و(جيش)، و(الهاء) المتصلة به، و(ثوى)، فـأين الآخر؟ قلت: الجملة من الفعل والفاعل، وهى (ضاق الفضاء)، لأن مَـنْ نكرة غير موصولة، لأن كُلاً لا يضاف إلا إلى النكرة التى فى معنى الجـنس وضاق الفضاء مجرور الموضع، لأنه صفة لـ(من)، قال الشيخ: هو كما قال».(١)

ز- التطور اللغوى الذى يفرض نفسه على الواقع اللغوى، بخاصة التطور الدلالى الذى دعا أصحاب المعاجم إلى الاستشهاد بشعر المولدين.

وفى ختام البحث يجب أن أشير إلى نقطتين:

الـنقطة الأولـى: أن الحفـاظ علـى اللغة باحتكامها إلى ضوابط الاحـتجاج لا يقيد الإبداع اللغوى، ولا يسلُب حرية الاستعمال اللغوى، كما لا يقف دون التطور اللغوى، فهناك فرق كبير بين أن يبدع مستعملوا اللغة وأن تكون لغتهم حجة ومقياسًا للصواب والخطأ.

والفـرق بين اللغة العربية وغيرها من اللغات أن العربية مرتبطة بالقـرآن الكريم، وهذا ما يجعل التطور فى نظام تراكيبها محدودًا بخلاف الإنجليزية مثلاً التى تطورت فى نصف القرن الأخير عما كانت عليه فى عصر (شكسبير) مثلاً.

الـنقطة الثانـية: نرجو ألا تتحول الأمثلة التى تمثل بها النحاة - واستأنسـوا بهـا - إلى شواهد بأن تحاكى أنماطها «فيقاس على بيت أبى نـواس (غير مأسوف على زمن)، فيقال غير مخوف على الأريب، وغير

(١) الأشباه والنظائر، ٥/٣٠٤، ٣٠٥.

مـــرغوب فـــى الحق، وغير مرجو اللئيم، وغير منتصر الباطل، إلى نحو ذلـــك من الصور التى تتفق مع تركيب أسلوب أبى نواس، أما جدة أسلوب أبى نواس فيشهد لها قول أبى حيان فى تذكرته: لم أر لهذا البيت نظيرًا فى الإعـــراب إلا بيتًا من قصيدة المتنبى يمدح فيها بدر بن عمار الطبرستانى يقول فيها:

ليس بالمنكرِ أن برَّزت سبقا غير مدفوع عن السبق العِراب»[1]

النقطة الثالثة: أتفق مع أستاذنا الدكتور محمد عيد فى حاجة بعض شـــواهد الـــنحو إلى المراجعة والتحقيق[2]، سواء أكانت مجهولة النسب أم مصنوعة أو محرفة أو هناك خطأ فى نسبتها أو متعددة النسبة.

(١) الاحتجاج بالشعر فى اللغة، د. محمد حسن جبل، دار الفكر العربى، ص ١٣٠، ١٣١. والخزانة للبغدادى، ١/٣٤٥ .

(٢) الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢٦٢، ٢٦٣.

المصادر والمراجع

(التى ورد ذكرها فى البحث)

١ - الأشـــمونى: شـــرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط/٣.

٢ - الأعشـــى: ديوانه، تحقيق: فوزى عطوى، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٨م.

٣ - أمية بن أبى الصلت: ديوانه، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٣٤م.

٤ - البحتـــرى: ديـــوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفى، دار المعارف، ١٩٦٤م.

٥ - أبو تمام: ديوانه، تحقيق: عبد الحميد يونس، وعبد الفتاح مصطفى، مكتبة محمد على صبيح، ١٩٦٤م.

٦ - الجرجانـــى (عـــبد القاهر): دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، الخانجى، ١٩٨٩م.

٧ - ابن جنى: المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علىّ النجدى ناصف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٨ - ابـــن جنـــى: سر صناعة الإعراب، تحقيق: د. حسن هنداوى، دار القلم، دمشق.

٩ - ابـــن خلكـــان: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

١٠ - أبـــو الحســـن القيســـى: إيضـــاح شواهد الإيضاح، تحقيق: محمد الدعاجى، دار الغرب الإسلامى.

١١ - أبـــو حيان الأندلسى: تذكرة النحاة، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١.

١٢ - رضـــىّ الـــدين الاســـترابادى (الشيخ): شرح شافية ابن الحاجب،

تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الفكر العربى.
١٣ - ابـــن الرومى: ديوانه، تحقيق: حسين نصار، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨١م.
١٤ - الزبيدى: تاج العروس، المطبعة الخيرية بالجمالية، ١٣٠٦هـ.
١٥ - الـــزبيدى: تـــاج العـــروس، تحقـــيق: على هلالى، وزارة الإرشاد الكويتية، ١٩٦٦م.
١٦ - الزجاجى: الأمالى، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
١٧ - الزركلى: الأعلام، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.
١٨ - الســـيوطى: الأشـــباه والنظائر، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٩ - الســـيوطى: المزهـــر فى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى آخرين، دار التراث، ط/٣.
٢٠ - الســـيوطى: همـــع الهوامع فى شرح جمع الجوامع، تحقيق: د. عبد العال مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.
٢١ - عبد القادر البغدادى: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، الخانجى.
٢٢ - العسكرى (أبو هلال): الصناعتين، مطبعة صبيح، د.ت.
٢٣ - ابـــن قتيـــبة: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، ١٩٨٢م.
٢٤ - المبرد: الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر.
٢٥ - المتنبـــى: ديوانه، تحقيق: عبد الوهاب عزام، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٥م.
٢٦ - محمـــد حســـن جبل (الدكتور): الاحتجاج بالشعر فى اللغة، الواقع ودلالته، دار الفكر العربى.

٢٧ – محمد عيد (الدكتور): الاستشهاد والاحتجاج باللغة، عالم الكتب.
٢٨ – المرزبانـــى: الموشـــح، تحقـــيق: على محمد البجاوى، دار الفكر العربى، د.ت.
٢٩ – ابن المعتز: ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م.
٣٠ – أبو نواس: ديوانه، تحقيق: على قاعود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـــ.
٣١ – ابن هشام الأنصارى: شرح قطر الندى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط/١، ١٩٩٦م.
٣٢ – ابن هشام الأنصارى: قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر.
٣٣ – ابـــن هشـــام الأنصـــارى: مغنـــى اللبيب، تحقيق: مازن المبارك وآخرين، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.